

السيدة نفيسة رضى الله عنها

أحبّها الشعب المصري قبل قدومها إليه، حيث سمع عن أنبائها بالمدينة بلد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتلقّتها النساء والرجال بالهوادج والخيول مرحبّين، يهلّلون ويكبّرون، ولم يزالوا معها إلى أن دخلت مصر، فأنزلها عنده كبير التجّار بمصر جمال الدين عبداً الجصّاص، وكان من أهل الصلاح، ومن أصحاب المعروف والبرّ والصدقة والمحبة في الصالحين والعلماء والسادة الأشراف، فنزلت عنده في داره معزّزةً مكرّمةً ميجّلةً، فأقامت بها عدّة شهور، والناس يقدون إليها زرافات ووحدانا، من سائر مدن القطر، ومن جميع الآفاق، يتلمّسون بركتها ويرجون دعاءها، ويرون في إشراقها إشراقة بيت النبوة وعتره المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم). وكانت سيّدة من المصريّين تُسمّى بأُمّ هانئ، لها دار رحيبة بجهة المراغة والقبر الطويل بالمصاصة – أو بالمنصوفة – فرجت من السيّدة نفيسة النزول في دارها، وكانت امرأة ورعة تقيّة سالحة، فقبلت السيّدة نفيسة وانتقلت إلى تلك الدار، فلم ينقطع عنها الزوّار، وانهال عليها الناس من كلّ حدب وصوب، من طلاب الحاجات، وراغبي الدعوات، وملتمسي النفحات والبركات، ويعودون جميعاً وقد استجاب الله دعاءها، وقضى لهم حاجتهم وكشف كربهم. وقد كان يجاور بيت أُمّ هانئ رجل من اليهود يقال له: أبو السرايا أيّوب بن صابر، وله بنت مُقْعَدَة، وفي يوم من الأيام توجهت بها أُمّ هانئ إلى السيّدة نفيسة واستأذنتها في بقائها في حماها إلى أن تعود من حمّامها، فتركها في ردهة الدار ومضت إلى الحمّام، حتّى إذا جاء وقت صلاة الظهر نهضت السيّدة نفيسة لوضوئها والبنت القعيدة ترقبها، وتستشرف إلى ما تصنعه السيّدة، وكان ماء الوضوء يجري في مجرى بالردهة إلى بئر تحت عتبة الدار، فألهم الله عزّ وجلّ البنت أن تزحف من مكان قعدتها وتصل إلى ذلك المجرى زاحفةً، فأخذت في تقليد السيّدة فيما تفعله من غسل وجهها ويديها ورجليها، وما أن غسّلت رجليها من ذلك الماء الذي يسيل في المجرى من فضل وضوء السيّدة، حتّى كأنّها نشطت من عقالها، وزال عنها كساحها، وشفّاه الله سبحانه وتعالى ممّا بها، فنهضت قائمةً مسرعةً في الخروج إلى الدرب خارج الدار، تلعب مع لَدّاتها، والسيّدة في شغل عنها بعبادتها وصلاتها، فلمّا حضرت أُمّ البنت إذ بها تجدها وقد زال عنها ما أقعدها، وهي قائمة على قدميها، كأنّه لم يكن بها شيء، فاحتضنتها وهي نشوانة مأخوذة ممّا رأت من شفاء بنتها وعافيتها، فسألته عن أمرها، فأخبرتها بجليّة الأمر، وما كان من غسلها رجليها من فضل ماء الوضوء، فبكت الأُمّ بكاءً